

النخبة الاندماجية في الجزائر

ومسألة التجنيد الإجباري (1912-1918م)، وهم الفرنسية، وفشل التحديث

د.سعودي أحمد

جامعة عمار ثلجي - الأغواط - الجزائر

الملخص:

جاء قانون التجنيد الإجباري (1912م) ليمثل فرصة سانحة للنخبة الاندماجية في الجزائر والمتأثرة قلبا وقالبا بالثقافة الفرنسية لتعرب عن حجم ولائها لفرنسا بدعوة الجزائريين للانخراط الجماعي في الجيش الفرنسي و الدفاع عن فرنسا باعتبارها الوطن الأم الذي يجب الدفاع عنه ،والعجيب أن هذه النخبة تخيلت أن فرنسا سترد للجزائريين هذا الجميل بإصلاح أحوالهم وتطوير بلدهم ومجتمعهم على كافة المستويات فهل كان لهم ذلك، وكيف قابلت فرنسا هذه التوجه لدى النخبة الاندماجية ؟ وما موقف عامة الجزائريين من ذلك في ظل الصراع الدعائي في الجزائر بين أنصار فرنسا وأنصار الجامعة الاسلامية والتحالف مع الدولة العثمانية وألمانيا القيصرية.

الكلمات المفتاحية: النخبة الإندماجية ، قانون التجنيد الإجباري، الجزائر ، فرنسا، الحرب العالمية الأولى ، الجامعة الاسلامية.

Abstract :

The Compulsory Recruitment Act (1912) represents an opportunity for the integration elite in Algeria, which is deeply influenced by French culture, to express its loyalty to France by inviting the Algerians to join the French army and to defend France as the motherland to be defended. Will respond to the Algerians this beautiful reform of their situation and the development of their country and society at all levels, did they have it, and how France met this trend of the integration elite? The general attitude of the Algerians in light of the propaganda conflict in Algeria between the supporters of France and the supporters of the pan Islamism and the alliance with the Ottoman Empire and Tsarist Germany.

Key words: The Integration Elite, The Conscription Law, Algeria, France, World War I, The pan islamism

مقدمة:

إننا ومنذ البداية وعندما نتناول بالبحث لقضايا "النخبة الجزائرية" عامة و"النخبة الاندماجية" بشكل خاص نجد أنفسنا في حاجة ماسة للتحكم في المصطلحات والمفاهيم خشية الخلط بين ظاهرة "النخب" في عمومها و"النخبة الاندماجية" لاسيما خلال الربع الأول من القرن العشرين في الجزائر (1900 - 1925م) مما يستوجب في كل الحالات إرفاق مصطلح النخبة بما يسمح للقارئ والباحث ب إمكانية تصنيفها وتحديد طبيعتها، كقولنا " نخبة محافظة" أو نخبة اندماجية" أو " نخبة مجددة" وغير ذلك من التصنيفات الممكنة. إن مصطلح " النخبة" فيشير بمفهومه العام إلى جماعة من الأشخاص الذين يشغلون مراكز النفوذ والسيطرة في مجتمع معين¹، أي هي أقلية ذات نفوذ تسود جماعة أكبر حجما²، ثم أصبحت كمفهوم أدخله عالم الاجتماع "باريتو" إلى مجاله العلوم الاجتماعية ليشير³ لمجموعة من الأفراد البارزين في مجال نشاط ما بغض النظر عن كون النشاط فكريا أو سياسيا أو اقتصاديا، و هم أيضا أولئك الذين يملكون في نفس الوقت تأثيرا في تشكيل قيم واتجاهات القطاعات التي يمثلونها في المجتمع.⁴

إذن فمفهوم النخبة كان مفهوما سياسيا ارتبط بالحكم، والنخبة الحاكمة أو النخبة المركزية هي القلة المختصة بمهمة رسم السياسات العامة واتخاذ القرارات السلطوية الملزمة، في حين تقوم الأغلبية أي المواطنون بالالتزام بالقرارات والقوانين.⁵ وعليه فإن التعاريف الحديثة للنخبة لم تركز على الأفراد الذين يشغلون مواقع داخل هذه النخبة وإنما ركزت على قضية السيطرة على زمام القوة سواء في المجال السياسي العام أو الميادين الخاصة أي النخب الاجتماعية والثقافية و الإدارية .

لهذا نجد أن للنخبة تأثير كبير في عملية تكيف المجتمع وتطوره، وانفتاحه أو انغلاقه أمام الأوضاع المستجدة، لقد ظهر مفهوم النخبة في إطار النقاش حول أشكال اللا مساواة الاجتماعية التي أفرزها النظام الرأسمالي⁶، ثم اتسعت النظرة في مفهوم النخبة لتشمل ميادين أخرى غير السياسية كالاقتصاد والجيش والفكر.... هذه الميادين كلها تتشابك لتخلق مجال قوة يمكن للنخبة من خلاله ممارسة السيطرة في المجتمع.

وعليه فقد أمكن الحديث عن نخب اجتماعية غير النخب السياسية ، أي بعيدة عن النفوذ السياسي ولكنها تمارس نفوذاً آخر ، هو النفوذ الاجتماعي داخل ميدان معين من الميادين الاجتماعية، وبالتالي فهي تتحرك في مجال بعيد عن مجال حراك النخبة السياسية وهو المدينة ، القرية ، المؤسسة ، أو أي تنظيم آخر من الأفراد وتتبارى هذه النخب خارج دائرة القوة المركزية.⁷

هنا ظهرت مفاهيم النخبة المهنية ،المدنية ، العسكرية، الريفية ، الحضرية.... ولا يمكن إنكار تشابك هذه النخب فيما بينها رغم أنها تبدو نخبا اجتماعية بعيدة عن المجال السياسي إلا أنها في تبادل مستمر معها للأدوار . أما فيما يخص الجزائر فقد شاع مصطلح النخبة في بداية القرن العشرين كغيره من المصطلحات الاستعمارية التي احتلت المقام الأول في الأدبيات المتداولة وضمن الكتابات الصحفية والنقاشات المختلفة ، ومن هنا فان المصطلح جديد دخل الأدبيات التاريخية والسياسية في الجزائر مع الربع الأول للقرن العشرين بشكل واسع التداول، ولكن ذلك لا ينفي وجود نخب جزائرية ورموز للثقافة والنضال السياسي بأساليب متعددة قبل هذه الفترة بل ومنذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830م)، وهو ما يحيلنا إلى شخصية حمدان خوجة⁸ أو نضال جماعة الحضر⁹ مع بداية الاحتلال .

أما مع بداية القرن العشرين فقد برز نوعان من النخبة مارست ضمن حقلي الثقافة والسياسة: نخبة حملت الجنسية الفرنسية، أي متخلية بذلك عن مقتضيات الشريعة الإسلامية واستبدلتها بالقانون الفرنسي وذابت في أتون الحضارة الغربية والثقافة الفرنسية بشكل واضح ،لتختار اللغة الفرنسية كأداة للتواصل والتفكير والتعبير ولم تترك فرصة إلا وجاهرت بولائها لفرنسا وقضاياها كما كان من أبرز رجال هذه النخبة الاندماجية التغريبية أمثال ابن النهامي، والطبيب المرسللي، وعمر بوضربة.

أما النخبة الثانية فقد بقيت محافظة على أحوالها الشخصية الإسلامية وتمسكت بهويتها الوطنية، لغة وعقيدة وحافظت على صلاتها بالبلاد العربية والعالم الإسلامي كامتداد طبيعي

ومجال حضاري وتاريخي للجزائر لا يمكن الانفصال عنه ،ونذكر من هذه النخبة المحافظة مزوجة التعليم واللغة مثل : محمد بن أبي الشنب¹⁰، وعبد الحليم بن سماية¹¹، والمولود ابن الموهوب¹².

وكانت النخبة حتى الحرب العالمية الأولى تتشط من خلال الجمعيات الثقافية التي أسست العديد منها وكانت تقيم فيها العديد من المحاضرات والندوات بغية تثقيف الشباب الجزائري وإطاعه على ما يحدث في العالم من تطورات مختلفة أو من خلال الصحافة التي بدأت ترى النور شيئاً فشيئاً مع بدايات القرن، وقد ركزت النخبة الاندماجية في معظم نشاطاتها على المناداة بتطبيق الإدماج الفعلي والحقيقي عليهم أي تطبيق المساواة في الحقوق والواجبات وإلغاء القوانين الاستثنائية كقانون الأهالي والمحاكم الرادعة، وطالبوا بالتمثيل النيابي وتوسيعه ، ومساواتهم في الضرائب والتعليم وفرص العمل كأداة تضمن انصهار الجزائريين الكامل ضمن فرنسا " الأم " .

وجاء قانون التجنيد الإجباري¹³ ليمثل فرصة سانحة لهذه النخبة المتفرنسة لتعرب عن حجم ولائها لفرنسا بدعوة الجزائريين للانخراط الجماعي في الجيش الفرنسي و الدفاع عن فرنسا باعتبارها الوطن الأم الذي يجب الدفاع عنه ،والعجيب أن هذه النخبة تخيلت أن فرنسا سترد للجزائريين هذا الجميل بإصلاح أحوالهم وتطوير بلدهم ومجتمعهم على كافة المستويات فهل كان لهم ذلك ؟

قانون التجنيد الإجباري يرسم الحدود النهائية بين المحافظة والفرنسة: لا يمكن إغفال التأثير الواضح للتطورات الخارجية في نشأة وتكوين النخب الجزائرية خلال الربع الأول للقرن العشرين والذي شهد أحداثاً بارزة كان من أهمها وصول الإتحاد والترقي إلى السلطة في شخص مصطفى كمال أتاتورك سنة 1908م وما صحبه من تبنى لسياسة العلمنة و التتريك التي انتهت بإلغاء الخلافة سنة 1924م. كما كان للاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب بالغ الأثر على النخبة لا سيما المحافظة منها دون أن ننسى حدوث ثورتين

بارزين شرق وغرب الوطن العربي وهما ثورة الشريف حسين سنة 1916م ضد العثمانيين وثورة الريف بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي ضد الاسبان و الفرنسيين بين 1921 - 1926م وما عرفه الحدثان من اهتمام لدى النخبة الجزائرية، غير أن الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 م كانت من أبرز الأحداث المؤثرة في تطور النخبة الجزائرية و الاندماجية بشكل خاص ،لاسيما في ظل احتدام النقاش حول قضية التجنيد الإجباري ومدى استفادة الجزائريين منه وهو ما نسعى لتوضيحه في هذا المقال.

هكذا تشكلت في الجزائر حركة الشبان الجزائريين ،عبر ثلاثة سبل رئيسة:تونس ذاتها والقاهرة وإسطنبول.كان قوامها بعض الأطباء والحقوقيين وحملة ليسانس جامعية ومدرسين،لكن أغليتهم تشكلت من صغار موظفي الإدارة العامة والعدالة والتعليم،في حين تشكلت أقليتهم من ممثلين للبرجوازية التجارية المرتبطة بالسوق الاستعماري.هذه المجموعة غير المنسجمة،المتولدة عن الأقلية الهزيلة للذين تلقوا تكوينا فرنسيا حاولت على غرار الشبان الأتراك والتونسيين،استتلاف وسائل وشعارات القوة الاستعمارية. لقد كانت تبحث عن المساواة عن طريق التماهي مع الفرنسيين¹⁴.

ينتمي أغلب من عرف بالشبان الجزائريون¹⁵،إلى فئة تخرجت من المدارس والجامعات الفرنسية ،أين تأثروا بالثقافة الغربية،وقد كانوا عموما من عائلات ميسورة الحال يمارس أفرادها وظائف لدى السلطات الفرنسية سواء مدنية أو عسكرية فقد كان جلهم من المحامين و الأطباء والمعلمين والضباط العسكريين،وقد حملت هذه التسمية نوعا من التمييز لهم داخل النخبة نفسها،باعتبارها تجمع التيارين المحافظ والاندماجي،فهاهو أحد منتسبيه يعرفها قائلا إنها :ثريات الجزائريين المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم،أن يصعدوا فوق الجماهير وان يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين"¹⁶. أي الذين أصبحوا يشبهون الأوروبيين في كثير من مناحي حياتهم ،حتى وصفهم المؤرخ الفرنسي (لوري بوليو) بأنهم أولئك "الجزائريين المتأوربين"¹⁷.

ومما يلاحظ أن هؤلاء الشبان لم يشكلوا حزبا سياسيا منظما ،بل كانوا ينشطون ضمن نوادي أو جمعيات ثقافية مثل "الراشدية" التي تأسست بالعاصمة ،أو عن طريق الكتابة في جرائد مثل " الإسلام" (L'Islam) و " الرشيدى" (Rachidi).

وقد تبنت هذه الفئة من الجزائريين الثقافة الغربية وأسلوب عيش الغربيين ومبادئ الديمقراطية والعدل والمساواة الفرنسية كنموذج للمجتمع الجزائري المأمول، لكنهم كانوا أحيانا ما يفرقون بين فرنسا الديمقراطية وفرنسا الاستبدادية، ويستجدون بالأولى ضد الثانية وبالفرنسيين الليبراليين والجمهوريين الأحرار ضد المستوطنين المستبدين.¹⁸ كما كانوا يطالبون بالمساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، وبإلغاء قانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية¹⁹ وبالتمثيل النيابي للجزائريين والمساواة في التعليم والضرائب وفرص العلم والتجنيس بالجنسية الفرنسية، لكن دون اشتراط التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين، عكس ما نص عليه قانون مجلس الشيوخ لسنة 1865م، من أن الجزائري لا يمكنه أن يتحصل على امتيازات الجنسية الفرنسية إلا عندما يتخلى عن حالته الشخصية كمسلم، وكانت مطالبتهم بهذه المطالب بأسلوب سلمي متخذين في ذلك سبل التسامح واللين ونابذين أسلوب القوة والعنف، حيث اعتمدوا على الصحافة والعرائض وإرسال الوفود، وهي أساليب مقاومة جديدة في الحركة الوطنية الجزائرية.

وقد وجد هؤلاء الشبان في قضية التجنيد فرصة لطرح مجموعة من الأفكار علنيا لاسيما ما يتحقق بوضعية الجزائريين السياسية و الاجتماعية ،ومسألة توافق هذا مع الأحوال الشخصية الإسلامية ،وقضية المساواة وغيرها من القضايا التي كثر النقاش فيها.

ومنذ البداية عبر الكثير من الشبان عن آرائهم حول هذه القضايا، فقد صرح علي بن فخار²⁰ معترفا بأن الوضع الذي كان يعيشه الأهالي في هاته المرحلة جد صعب وأن " التجنيد الإجباري حمل ثقل عليهم وسيؤدي إلى نتائج خطيرة لأنه لم يمنح لهم بالمقابل أي شيء، إن التجنيد الإجباري يجعل منهم شعبا مسخرا ومُستعبدا²¹.

أما عبد الرحمان محمد وهو نائب مالي وبلدي بمستغانم فأبدى رأيه قائلًا أن " الوقت لم يحن بعد لتطبيق التجنيد الإجباري على الجزائريين، ذلك أنهم خاضعون لوضع خاص تضبطه القوانين الاستثنائية (...) ثم إن الخدمة العسكرية الإجبارية تتطلب أولا الحصول على الحقوق المدنية الفرنسية التي تتعارض مع الأحوال الشخصية الإسلامية ولذلك فإن تطبيق التجنيد الإجباري أمر مستحيل في ظل الوضع الراهن"²².

وفي هذا التصريح بيان واضح لمدى التباين في الآراء بين حركة الشبان أنفسهم، وبين فئة ترى أن في التجنيد تعارض واضح مع الأحوال الشخصية الإسلامية وهم الأقل، وفئة أكبر منها لا تعير ذلك اهتماما وترى أن الفرصة مواتية للمطالبة بحقوق المواطنة الفرنسية، أو على الأقل للنخبة المثقفة منهم كما أوضح ذلك النائب المالي والبلدي بحسين داي محمد بن صيام قائلا: "إنني أرى أنه من المستحق مقابل تجنيد المسلمين، توسيع وزيادة الحقوق السياسية بالنسبة إليهم. وبالطبع لن تمنح هذه الحقوق لكل العرب و لاسيما الجنسية الفرنسية، وإنما تمنح للذين تتوفر فيهم بعض الشروط الخاصة".²³

وفي كل هذه التصريحات إبراز لمسألتين اثنتين أولهما، انعدام وجه نظرة موحدة لهذا التيار في تلك القضايا المطروحة، خاصة فيما يتعلق بالتجنيد والأحوال الشخصية وقضية التجنيس، والمسألة الثانية هي وجود جزء من هذا التيار من يرى أنه مختلف عن بقية الجزائريين وأنه أولى من الجزائريين الأهالي في بعض الحقوق السياسية بحكم تكوينه وثقافته الغربية.

وبعد صدور مرسوم 17 جويلية 1908م الخاص بإحصاء الشباب الجزائري البالغ سن الثامنة عشر و أكثر، قصد تجنيدهم، حاول الشبان الجزائريون العمل جماعيا، للحصول على مقابل من التجنيد من لدن الإدارة الفرنسية، فشكّلوا وفدا ذهب إلي باريس ليسلم عريضة خاصة بالخدمة العسكرية، والتي نصت أنهم يقبلون مبدأ الخدمة مقابل حصولهم على الحقوق السياسية للمسلمين الأهالي، وقاد الوفد عمر بوضربة، عضو المجلس البدي للعاصمة، وقد التقى الوفد برئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو في 03 أكتوبر 1908م وقدموا إليه العريضة باسم الجزائريين.

إلا أن تسارع الأحداث وتزايد الحاجة الفرنسية للجزائرين في حربها، دفع الإدارة الفرنسية إلى التسريع في إصدار القوانين المرتبطة بتجنيد الجزائريين، فكثرت على إثر ذلك التصريحات والتلميحات الفرنسية، ولما أحست مجموعة من الجزائريين الممثلين لتيار النخبة الاندماجية، بتلك التلميحات من الحاكم العام في خطابه في أوت ونوفمبر 1914م، بإمكانية إحداث إصلاحات على واقع الجزائريين السياسي والاجتماعي بعد نهاية الحرب في حال انتصار فرنسا، فيما إذا كان الجزائريون طرفا في هذا الانتصار، فضل العديد من الشبان

الجزائريين، الانضمام إلى الجيش الفرنسي والدفاع عن فرنسا، لعل تضحياتهم تشفع لهم بعد ذلك، فتمنحهم فرنسا بعض حقوقهم الطبيعية كمواطنين كاملين الحقوق.

لكنهم كان هؤلاء دائما يعلنون أن هدفهم الأول هو الدفاع عن العدالة والحق ضد الظلم والقهر، فها هو الأمير خالد يصرح: "إن الجزائريين يشاركون في الحرب دفاعا عن الحق والعدالة، ضد طغيان وبربرية ألمانيا"²⁴.

ومما يؤكد أن الشبان الجزائريين كانوا يهدفون إلى الحصول على بعض الحقوق مقابل مشاركتهم في الحرب إشارة الأمير خالد سنة 1919م: "إن مئات الجزائريين ماتوا من أجل وطن بقي دائما يعتبرهم رعايا، ومن أجل حقوق لم ينالوا منها شيئا، حتى بعد انتصار فرنسا"²⁵. ولئن كان موقف الأمير خالد متميزا برفضه للتجنس منذ البداية وإعادته لبعث الجنسية الجزائرية بتشديده في كلامه وسلوكه، على هوية الجزائري المبنية على مرجعية الإسلام الممزوجة بالدفاع عن اللغة العربية والثقافة العربية وقضايا العرب والمسلمين، مما جلب ثناء البعض وكراهية الآخر حتى من بين الشبان الجزائريين، فإن مجموعة معتبرة من هؤلاء الشبان أبدوا ولائهم المطلق لفرنسا، فقد صرح الحاج عمار²⁶: "نحن نحمل السلاح للدفاع عن الحق وعن بلدنا المهدد فرنسا (...). يا مسلمي الجزائر يجب أن نحمل السلاح رفقة إخواننا الفرنسيين ونحارب من أجل العدالة والحرية"²⁷.

أما الصادق دندان فقد عبر عن سعادته بهذه الفرصة التي سمحت له ولرفاقه بإثبات ولائهم لفرنسا قائلا: "إننا سعداء بأننا أخذنا مكاننا في العائلة الفرنسية، إن الحرب فرصتنا لإثبات إخلاصنا لفرنسا"²⁸.

كما دعا الشبان الأهالي الجزائريين إلى التزام الهدوء وعدم الإصغاء إلى الداعين للثورة على فرنسا في الجزائر، حيث وجه النائب البلدي بحسين داي، محمد بن صيام نداء للأهالي جاء فيه: "أجيبوا نداء فرنسا وكونوا في خدمتها، فأنتم تدافعون عن الحق وعن قضية إنسانية (...). وحافظوا على هذوئكم ولا تثيروا الاضطرابات (...). إنه من واجبكم حسن الجوار، والله يأمركم بالإحسان إلى الجيران، فأحسنوا إلى جيرانكم لتكونوا مسلمين حقا"²⁹.

ولم ينس هؤلاء أن يبنوا للجزائريين ما ينتظرونه من هذه الخدمات الجليلة لفرنسا فقد جاء في أحد تصريحات الدكتور مرسلي³⁰: "لقد تربينا مع الفرنسيين، نحن نعرفهم، قد يحدث أحيانا أن نتلقى منهم بعض الضربات، و التي نردها لهم وعليه فنحن متساوون، بينما بالنسبة للآخرين (الألمان) لن يكون الأمر كذلك، وعليكم أنتم يا أيها السكان المسلمون في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى ، أنتم الذين بدون مساومة منكم، قدمتم أبناءكم للوطن الأم، أكيد لن تجازون بنفس الطريقة، لقد تحصلتم من الآن فصاعدا على مكانة مرموقة ضمن العائلة الفرنسية، وعند المحاسبة وبنهاية الحرب بهزيمة أعداءنا والتي لن تتأخر، لن يتم نسيانكم، صدقوني إن ولاءكم لثمانين(80) سنة سيؤخذ بعين الاعتبار ومزيد من الحقوق ستمنح لكم و تحفظ"³¹.

وفي محاولة للرد على اتهامهم بأنهم يحرضون الأهالي على المطالبة بالحقوق السياسية مقابل تجنيدهم وهو ما يخدش ولائهم البديهي لفرنسا ، كما فعل الكاتب الفرنسي(أوكتاف دييون)،مفتش عام على مستوى البلديات المختلطة الذي اتهم الشبان بإثارة الأهالي لكي يطالبوا بالتعويض السياسي على الخدمة العسكرية³². نفى بعض الشبان تلك التهمة عنهم، ونفوا أي علاقة لهم بالجامعة الإسلامية،مقابل ولائهم لفرنسا وقضاياها،ففي رسالة للمحامي الحاج سعيد إلى أصدقائه من جماعة الشبان الجزائريين بين علاقة جماعته بالجامعة الإسلامية قائلا: "إن الجزائريون المسلمون يعتبرون إسطنبول و الخلافة،بنفس الاعتبار الذي يضيفه المسيحيون على روما والبابوية،ورغم اعترافهم-أي الشبان- أنهم قاموا بنشاطات مختلفة لصالح الليبيين ولصالح لجنة الوحدة والتقدم التركية خلال الحرب العثمانية -الايطالية،لكنها نشاطات أذنت بها الإدارة الفرنسية نفسها"³³.

ومع دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا،لم يتأخر النائب البلدي بوهان علي محي الدين في التصريح:"إن موقف الدولة العثمانية لا يعنينا ولا يغير من ولائنا وإخلاصنا لفرنسا شيئا،بل يربطنا بها و بحكومتها أكثر فأكثر"³⁴.

وفي نفس السياق يذكر (جون ميليا) أن الجزائريين كانوا مع فرنسا منذ اليوم الأول.وفيما يخص موقف الشبان الجزائريين، فقد كانوا في رأيه صادقين نحو فرنسا والدليل على ذلك تصريحاتهم المعادية لتركيا ومن بين الذين يذكرهم الدكتور بلقاسم بن التهامي

الذي قاد وفد الشبان سنة 1912م إلى باريس و مختار حاج سعيد و الصادق دندان مدير جريدة "الإسلام" وجريدة "الراشدي" التي أوقفت من طرف مسؤوليها للتعبير عن مشاركتهم في مجهود الحرب. ومن التصريحات في هذا الصدد ما جاء على لسان الطبيب القسنطيني "مرسلي" والتي يتهجم فيها على تركيا بسبب دخولها الحرب قائلا: " وهكذا تعاود تركيا السقوط بين مخالب ألمانيا، وهذه المرة لتبقى إلى الأبد، فهي بدل أن تحافظ على حيادها في الحوادث الحالية، تنضم إلى أعداء فرنسا.. ثم يضيف: " لا تعتمدوا علينا فنحن لا نعرفكم، لأننا لسنا لا بالشبان الأتراك ولا بأصحاب العمائم ،بل نحن فرنسيون مسلمون وسنبقى كذلك إلى الأبد" ³⁵.

الهوامش:

- 1 - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، مصر، (دت ن)، ص155.
- 2 - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط2، مكتبة لبنان، بيروت ، 1986، ص129
- 3- مرجع نفسه
- 4 - السيد عبد الحليم الزيات، في سوسولوجيا بناء السلطة- الطبقة-القوة- الصفوة، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1990، ص239.
- 5 - السيد عبد الحليم الزيات ، المرجع السابق ، ص239.
- 6 - أحمد زايد ، "النخب السياسية والاجتماعية مدخل نظري: مع إشارة خاصة إلى تشكلها في المجتمع المصري"، في النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر، تحرير: احمد زايد وزير عروس، مكتبة مدبولي، القاهرة ، مصر، 2005، ص09.
- 7 - أحمد زايد ، النخب السياسية ، مرجع سابق ، ص11.
- 8 - حمدان بن عثمان خوجة، من مواليد مدينة الجزائر حوالي 1773م، من عائلة جزائرية عريقة مالكة عاشت بضواحي مدينة الجزائر ، عاش حمدان خوجة متنقلا بين الجزائر والقسنطينية وفرنسا ، مشغلا بالتجارة والدبلوماسية والسياسة، وقد واصل مهامه عند عودته، إلى الجزائر حتى نفيه إلى باريس بعد وشاية المعمرين به، اما عن تاريخ وفاته فغير معروف على وجه التحديد رغم أن جورج إيفار (George Yver) حدده ما بين 1840 و 1845م، في حين قال محمد بن عبد الكريم ثبوت وفاته أواخر 1840م، أبو ظبي، 2004، على الرابط : <http://alrihlah.com/nadawat/research/492>
- 9 - قسم أبو القاسم سعد الله المقاومة المدنية والسياسية في بداية الإحتلال إلى ثلاث تيارات سياسية :

- الحزب الوطني والذي كان يضمن عناصر جزائرية تنظر داخليا، وتعمل على تحرير الجزائر بكل الوسائل، كأحمد بوضرية
 - الحزب العثماني الذي يهدف أصحابه إلى إبقاء الجزائر ضمن الخلافة العثمانية والذين من بينهم حمدان خوجة و ابن العنابي
 - الحزب الفرنسي وهم للذين ربطوا مصالحهم بالإحتلال الفرنسي كمصطفى ابن اسماعيل....، أنظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج1) دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007، صص 105-106.

¹⁰ - محمد بن ابي الشنب : ابن أبي شنب(1347-1286) هـ 1869-1929 م / (هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنب الجزائري الأديب الباحث، أحد أعلام المغرب العربي النابيين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأحد رواد النهضة العربية الحديثة. أول جزائري حامل لشهادة الدكتوراه في العصر الحديث.

ولد في قرية المدية جنوب مدينة الجزائر، ونشأ في ظل الاحتلال الفرنسي، فقرأ شيئاً من القرآن الكريم قبل أن يلتحق بمدرسة المدية الثانوية، ليتعلم اللغة الفرنسية والعلوم الغربية وفق المنهج المفروض من قبل سلطات الاحتلال، ثم انتسب إلى دار المعلمين ببلدة أبي زريعة قرب العاصمة، وتخرج منها بعد عام حاصلاً على إجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية. وأمضى عشر سنوات في هذه المدارس، شُغل فيها بالتعليم وتحصيل علوم اللغة العربية واستدراك ما فاتته منها، فقرأ النحو والصرف والعروض، وشيئاً من علوم الدين، وتقدم بما حصله إلى مدرسة الآداب العليا، ونال إجازتها، فتولى تدريس آداب العربية في مدرسة آداب مدينة قسنطينة، وبعد أن أمضى في عمله الجديد أربع عشرة سنة، ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة، فأقرأ فيها النحو والأدب والبلاغة والمنطق. وفي أواخر عام «1922م» تقدم إلى كلية الآداب الجزائرية ببحثين للحصول على درجة الدكتوراه، هما: «حياة أبي دلالة وشعره» و«الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية»، فمنح درجة الدكتوراه وكلف بالتدريس في الكلية، وظل يدرس ويبحث إلى أن وافته المنية. أنظر : عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1400/1980، ص 189.

¹¹ - عبدالحليم بن علي بن عبدالرحمن خوجة بن سماية، ولد بالجزائر (العاصمة)، وفيها توفي. عاش في الجزائر، وأقام مدة في تونس، كما زار بلاد الشام. حفظ القرآن الكريم، وتعلم على يد والده العربية والفقه والتوحيد، كما أخذ المنطق والبلاغة عن طاهر تيطوس، والحساب والفرائض عن علي بن حمودة. وتتلذذ على نخبة من كبار العلماء. حفظ المتون وقرأ أمهات كتب التراث حتى تكوّنت له ملكة قوية في العلوم العربية والشرعية، ودرس اللغة الفرنسية.

عمل صحفياً في جريدة «المبشر»، ثم بالتجارة في نكان صغير؛ في حين كان يلقي الدروس متطوعاً في المسجد الذي كان يدرّس فيه والده. قلده الإدارة الفرنسية (1896) خطة التدريس بالمدرسة الرسمية بالجزائر العاصمة، وفي (1900) أسندت إليه خطة التدريس بالجامع الجديد الحنفي، وعندما افتتحت المدرسة الثعلبية (1905)

انتقل إليها وظل مدرساً بها إلى أن أُحيل إلى التقاعد. التقى الإمام محمد عبده زمن وجوده بالجزائر، وسفرت الرسائل بينهما حين غادر الإمام إلى صقلية، وظل المترجم له وفيّاً لمنهج الإمام في الإصلاح. كان من مناضلي الجامعة الإسلامية (الوحدة تحت راية الخلافة الإسلامية)، كما كان من معارضي تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي. أنظر: أبو عمران الشيخ (إشراف): معجم مشاهير المغاربة - المؤسسة الجزائرية للطباعة - الجزائر 1995. ص44.

12 - أبو القاسم سعد الله، حصاد الخريف، (ط1)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص235.

13 - إتخذ البرلمان الفرنسي في النهاية يوم الثالث من شهر فبراير - شباط 1912 قرار بإجبار الجزائريين على الخدمة العسكرية بصفتهم رعايا فرنسيين. إذن هو قانون سياسي ينصّ على تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي بغضّ النظر عن رفضهم له، جاء هذا القانون بعد فترة تضاربت فيها مختلف الآراء السياسية و العسكرية من خلال المشاريع الأولى التي تهدف إلى تجنيد الجزائريين، و التي سبق التطرّق إليها، و ذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى غاية بداية القرن العشرين. القانون: 2-3-مراسيم

قانون 03 فيفري 1912 الذي نشر في الجريدة الرسمية " le Mobacher " يوم السبت 02 مارس 1912 ، حيث يحتوي على [30] ثلاثين مادة مقسمة في أربعة أبواب. -الباب الأول: عبارة عن أحكام عامة، يضم المادة الأولى التي تنصّ على تجنيد الأهالي المسلمين بصيغة الاختيار أو إعادة التجنيد. -الباب الثاني: جاء للتأكيد على الأحكام الواردة في الباب الأول، و هذا ما نلتمسه في المادة الثانية. -الباب الثالث: يحتوي على [8] ثمانية فصول تضم [23] ثلاثة و عشرين مادة (من المادة الثالثة إلى غاية المادة السادسة و العشرين)، حيث نجد: الفصل الأول: يحتوي على [4] أربعة مواد (من المادة الثالثة إلى غاية المادة السادسة) و هو متعلق بالاستدعاء، الفصل الثاني: يحتوي على خمس مواد.

(من المادة السابعة إلى غاية المادة الحادية عشر)، و المتعلق بإحصاء الجزائريين، الفصل الثالث: و يحتوي على [3] ثلاثة مواد، (من المادة الثانية عشر إلى غاية المادة الرابعة عشر)، و الذي يبين الأشخاص الذين لهم الحق الإعفاء و التأجيل و الأعذار، الفصل الرابع: يحتوي على [7] سبعة مواد (من المادة الخامسة عشر إلى غاية المادة الواحد و العشرين) و المتعلق بالقرعة و جمع الأشخاص.

الفصل الخامس: الخاص بالبدليل أو إيجاد العوض و الملخص في المادة [22] الثانية والعشرين، الفصل السادس: يضم المادتين [23] و [24] الثالثة و العشرين و الرابعة و العشرين، الخاص بجمع

العسكريين، الفصل السابع: الخاص بالمرتب اليومي و الجوائز، و هذا ما تنصّ عليه المادة [25] الخامسة و العشرين، الفصل الثامن: المتعلق بالأحكام الجزائية، و يشمل على المادة [26] السادسة و العشرين.
-الباب الرابع: يحتوي على [4] أربع مواد (من المادة السابعة و العشرين إلى غاية المادة الثلاثين) و المتعلق بالأحكام الخصوصية، حيث تحدد مواد الامتيازات الخاصة بالعسكريين القدامى، تنظيم الجنود، و القانون ساري المفعول في المناطق المدنية دون غيرها من المناطق العسكرية.

14 - أحمد رضوان شرف الدين ، مشروع الدولة- الأمة العربية عند النخب الجزائرية ،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة الجزائر ،2004-2005. ص.29.

15 - يجدر التذكير أن حركات شباب كثيرة نشأت غداة ثورة 1830 الأوروبية، بتأسيس مباشر أو بإيعاز من جيوسبي مازيني:إيطاليا الفتاة،سويسرا الفتاة،فرنسا الفتاة، ألمانيا الفتاة...وتلتها تركيا الفتاة ثم العربية الفتاة ، فالشباب التونسي والشباب الجزائري للزميد أنظر : أحمد رضوان شرف الدين ،نفسه ،صص 20-21.

16 - Ben habiles,Chérif,L'Algérie Française vue par un indigène,Alger orientale,1914,p104.

17 -Leroy Baulieu,"La France dans l'Afrique du nord,indigènes et colons",Revue des deux mondes,1906,pp,60-62.

18 - عباس فرحات ،حرب الجزائر وثورتها ،ليل لاستعمار ،تعريب أبوبكر بن رجال،المحمدية،المغرب،1962،ص106.

19 - أصدرت فرنسا العديد من القوانين الجائرة ضد الجزائريين ،لعل أشدها إجحافا قانون الأهالي الذي صدر سنة 1871م وتم تجديده سنة1881م،والذي إنجرت عنده العديد من القوانين أخطرها تحميل الجزائريين المسؤولية جماعيا مقابل الأخطاء الفردية،كما أعطيت صلاحيات كبيرة للمحاكم في معاقبة الجزائريين دون إعطائهم أية حقوق قضائية.

20 - علي بن فخار: من مدينة تلمسان ،درس في مدرستها الفرنسية،ذهب إلى فرنسا سنة 1901م حيث علم اللغة العربية الدارجة في الغرفة التجارية بمدينة ليون وهناك درس القانون وتخصص في الشريعة الإسلامية وتحصل سنة1908 على الدكتوراه ، أنظر :أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، (ط6) ،دار البصائر ،الجزائر،2009،ص 241.

21 - "la conscription des indigènes",La Dépêche Algérienne,N8493,vendredi30oct1908.

22 - مقتطف من تصريحه أمام المجلس المالي في دورة 03 افريل 1908م، أنظر "les veux des indigenes »,la Revue indigènes",N30,oct1908,pp404-411.

23 -" le veux indigènes"N30,op-cit.

- ²⁴- Emir Khaled, la situation des musulmans d'Algérie 1924, opu, Alger, 1987, p41.
- ²⁵- Khaled, Ibid, p41.
- ²⁶ - الحاج عمار من الشبان الجزائريين وهو مدير جريدة "Rachidi"، كما كان نائبا بلديا في بلدية جيجل.
- ²⁷ - Hadj, Ammar, "Tous pour la France", L'Islam, N205, samedi 03 oct 1914.
- ²⁸ - Denden, Sadek, "Notre action dans la guerre", L'Islam, N204, 22 Aout 1914.
- ²⁹ - Ben Siam mMohamed, "Jour d'epreuve", Akhbar, N13762, dim 30 Aout 1914.
- ³⁰ - الدكتور مرسلي (Morsli)، من مواليد وهران، كان والده ضابطا في الصبايحية، تخرج من مدرسة الطب الفرنسية بالعاصمة، ثم إنتقل إلى قسنطينة أين شارك في الكثير من النشاطات التي قام بها الأعيان، كتوقيع عريضة 1891م، التي قدمت لجول فيري، متجنس ومتزوج بفرنسة، له كتاب بعنوان (la question indigène) ألفه سنة 1884، أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مرجع سابق، ص231.
- ³¹-MEYNIER G, « Loyalisme et insécurité en Algérie pendant la guerre de 1914-1918 », *Les Cahiers de Tunisie* (Tunis), t. XIX, n° 75-76, 3^e et 4^e trimestre 1971, p. -p192.
- ³² - Octave, dépont, "une insurrection en Algérie pendant la guerre", in *Revue de l'Afrique du Nord*, T01, Nov-Déc 1921, p11.
- ³³ - Ben habiles, op-cit, 128.
- ³⁴ - " les protestations de loyalisme des Musulmans d'Algérie", *le Temps*, N19481, 07 nov 1914.
- ³⁵ -G Meynier; op-cit, p267.